

١٢

مكتبة
مكتبة
مكتبة

أُمُّ سَلَمَةَ

الجزء الثاني

صِفَاتُهَا وَأَخْلَاقُهَا

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

تريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

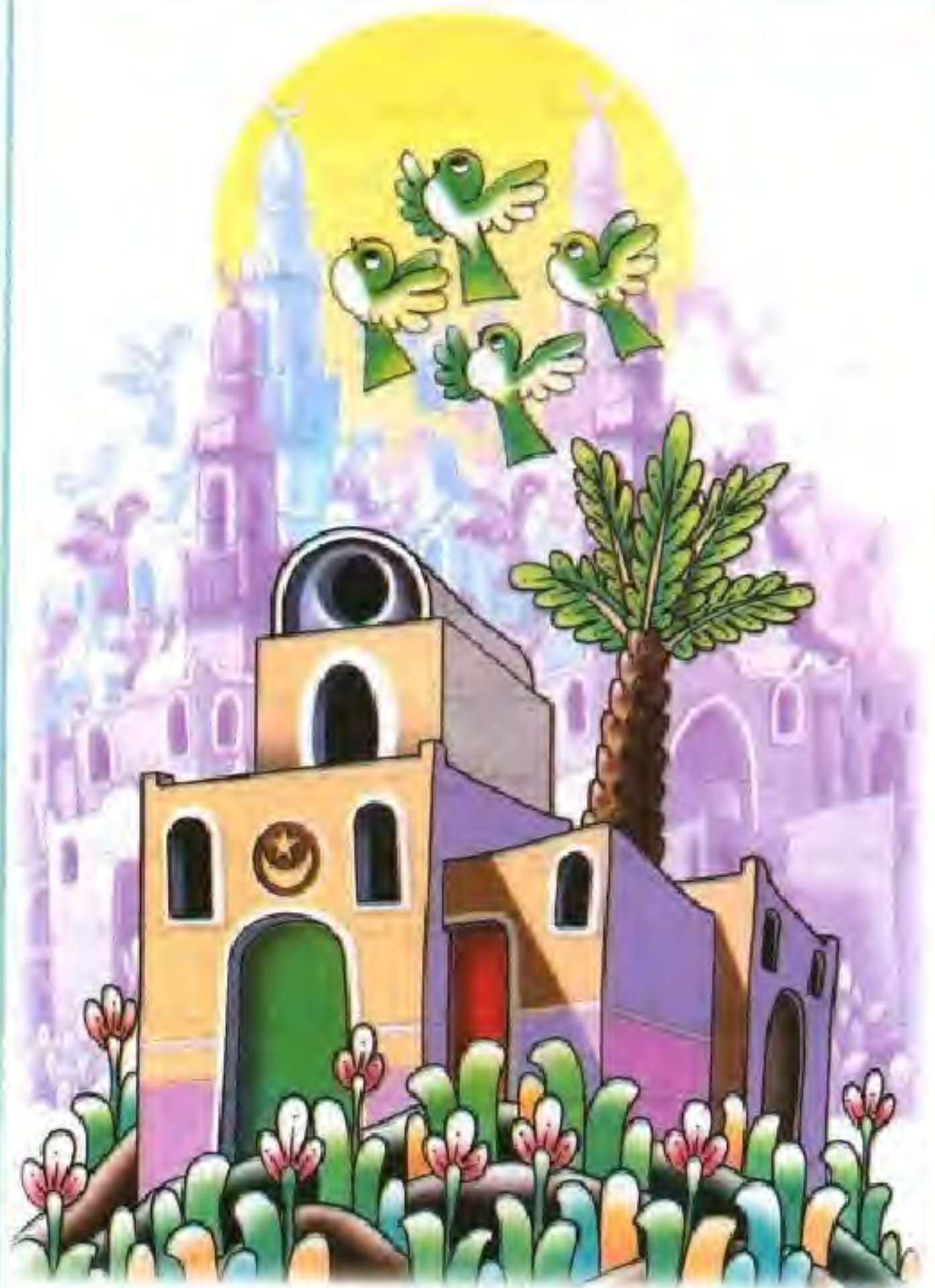
دار النشر : دار النشر : دار النشر

بَعْدَ أَنْ تُوَفِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَوَدَّعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى
مَثْوَاهُ الْأَخِيرِ ، عَاشَتْ زَوْجَتُهُ مَعَ صَبِيَّتِهَا الصَّغَارِ فِي حُزْنٍ
شَدِيدٍ ، فَقَدْ فَقَدُوا الْأَبَ الْحَنُونَ وَالْعَائِلَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَرْعَى
شُؤْنَهُمْ وَيُلَبِّي مَطَالِبَهُمْ .

وَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَأَوْلَادِهَا ،
فَمَا إِنْ انْتَهَتْ مِنْ حِدَادِهَا ، حَتَّى تَسَابِقَ الصُّحَابَةُ إِلَى الزَّوْاجِ
مِنْهَا ، لِكَيْ يَعْوِضُوهَا عَنْ فَقْدِهَا لَزَوْجِهَا ، وَيَقْرُمُوا بِرِعَايَةِ
أَيْنَائِهَا الصَّغَارِ ، وَأُرْسِلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ إِلَيْهَا لِكَيْ يَخْطُبَهَا
لِنَفْسِهِ ، لَكِنَّهَا رَدَّتْهُ وَلَمْ تُجِبْهُ إِلَى طَلَبِهِ ، كَمَا أُرْسِلَ إِلَيْهَا
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُهَا ، فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَّتْ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَدْ
كَانَتْ مُتَأَثِّرَةً بِوَفَاةِ زَوْجِهَا تَأَثُّرًا كَبِيرًا ، كَمَا كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ
مَكَانَةَ زَوْجِهَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا أَحَدٌ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْوَقْتِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَوْلَادِهَا ، ثُمَّ رَأَى
الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ يَضُمُّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ إِلَى نِسَائِهِ ، وَيَرْعَى
أَيْنَاءَهَا كَمَا يَرْعَى أَيْنَاءَهُ ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهَا مَنْ يَخْطُبُهَا لَهُ ﷺ .

وَتَلَقَّتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ هَذَا الْخَبَرَ بِدَهْشَةٍ ، حَيْثُ لَمْ



تَتَوَقَّعُ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لِسَيِّدِ الْبَشَرِ ، كَمَا كَانَتْ قَدْ قَارَبَتْ
عَلَى الْخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْغِيْرَةِ ،
وَحَشِيَّتْ أَنْ تُثْقَلَ كَاهِلُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَبْنَائِهَا الصَّغَارِ .

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِمَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

- أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَنِّي امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغِيْرَةِ ؛ فَأَخَافُ
أَنْ يَرَى مِنِّي شَيْئًا يَغْضِبُهُ ، فَيُعَذِّبَنِي اللَّهُ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ
عِيَالٍ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا .

وَسَمِعَ الرَّسُولُ ﷺ مَا قَالَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ :

- قُلْ لَهَا : أَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّكَ غَيْرِي فَسَادْعُو اللَّهَ فَتَذْهَبْ
غَيْرَتُكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْعِيَالِ ، فَإِنَّمَا عِيَالُكَ عِيَالِي ،
وَأَمَّا قَوْلُكَ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ
أَوْلِيَائِكَ شَاهِدًا أَوْ غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ .

وَجَاءَ الرَّسُولُ ﷺ بِنَفْسِهِ لِكَيْ يَخْطُبَ أُمَّ سَلَمَةَ ، فَكَادَتْ
تَطِيرُ مِنَ الْفَرَحَةِ ، وَقَالَتْ وَهِيَ لَا تُصَدِّقُ نَفْسَهَا :

- مَا مِثْلِي يَتَزَوَّجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَنَا لَا يُوَلَّدُ لِي ، وَأَنَا
غَيْرُ ذَاتِ عِيَالٍ .

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ :

- أَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فَيُذْهِبُهَا اللَّهُ ، وَأَمَّا الْعِيَالُ

فَإِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَعِنْدَئِذٍ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِابْنِهَا عُمَرُ :

- قُمْ فَزُوجِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

فَقَامَ عُمَرُ فَزَوَّجَهُ ﷺ ، وَمِنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَصْبَحَتْ أُمُّ سَلَمَةَ

زَوْجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمًّا لِلْمُسْلِمِينَ .



كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَوْصُوفَةً بِالْجَمَالِ الْبَارِعِ ، وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ
الصَّائِبِ ، وَقَدْ وَصَفَتْهَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
بِالْجَمَالِ وَالْعَقْلِ ، وَلَا حِطَّ أَنْ لَهَا مَكَانَةٌ كَبِيرَةٌ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ .
وَأَصْبَحَ الرَّسُولُ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لَأُمِّ سَلَمَةَ الزَّوْجَ الْحَنُونَ ،
وَبِالنِّسْبَةِ لِأَبْنَائِهَا الْأَبِ الْحَانِي الَّذِي لَا يُغْمِضُ لَهُ جَفَنٌ ،
حَتَّى يَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمْ ، فَمَا إِنْ تَتَغَيَّبُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ
حَتَّى يَسْأَلَ عَنْهَا فِي لَهْفَةٍ وَيَقُولُ :

- أَيْنَ زُنَابُ ؟

كَمَا زَوَّجَ سَلَمَةَ مِنْ بِنْتِ عَمِّهِ « أَمَامَةَ بِنْتِ حَمْزَةَ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » ، وَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ :

- تَرَوْنَ كَافَاتِهِ ؟

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى رِعَايَةِ الرَّسُولِ ﷺ لَهَا وَلِأَبْنَائِهَا وَرِعَايَةِ
تَامَةَ ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ جَالِسًا مَعَ أُمِّ سَلَمَةَ وَابْنَتِهَا زَيْنَبَ ،
فَجَاءَتْهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَمَعَهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ،
فَضَمَّهُمَا ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ :

- رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

وَلَمْ تَتَمَالِكْ أُمُّ سَلَمَةَ نَفْسَهَا فَبَكَتْ ، فَتَعَجَّبَ
الرَّسُولُ ﷺ مِنْ ذَلِكَ وَسَأَلَهَا :
- مَا يَبْكِيكِ ؟
فَقَالَتْ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ خَصَصْتَهُمْ بِدُعَائِكَ ، وَتَرَكْتَنِي وَابْنَتِي .
فَقَالَ ﷺ لَأُمِّ سَلَمَةَ :
- إِنَّكَ وَابْنَتُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ .

فَهِيَ أَلْكَ حَنَانًا وَرَحْمَةً أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَمَنْ هَذَا
إِنْسَانِيَّةً أَكْثَرَ مِنْ إِنْسَانِيَّةٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ! ؟



وَكَمَا اتَّصَفَتْ أُمُّ سَلَمَةَ بِالْجَمَالِ ، فَقَدْ اتَّسَمَتْ بِقُوَّةِ
الشَّخْصِيَّةِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ ، فَقَدْ رَاجَعَتْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
وَتَصَدَّتْ لَهُ بِقُوَّةٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي شُئُونِ بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ .
فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُومُ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ إِذْ
أَشَارَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ قَائِلَةً :

- لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ !

وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُؤْخَذُ بِرَأْيِهَا وَلَا تُسْتَشَارُ
فِي شَيْءٍ ، فَتَعَجَّبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ أَمْرِ زَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا :
- مَا لَكَ وَلِمَا هَهُنَا ، قِيمِ تَدَخُّلِكَ فِي أَمْرِ أُرِيدُهُ ؟

فَقَالَتْ لَهُ :

- مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ ، لَا تُحِبُّ أَنْ يُرَاجِعَكَ
أَحَدٌ ، وَإِنَّ ابْنَتَكَ حَفْصَةَ لَتُرَاجِعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَظْلَ
يَوْمُهُ غَضَبَانِ !

فَانْطَلَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَعَاتَبَهَا
قَائِلًا :

يا بُنَيَّةُ ، إِنَّكَ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَظُلَّ يَوْمَهُ

غَضَبَانِ ؟

فَقَالَتْ حَقِّصَةٌ :

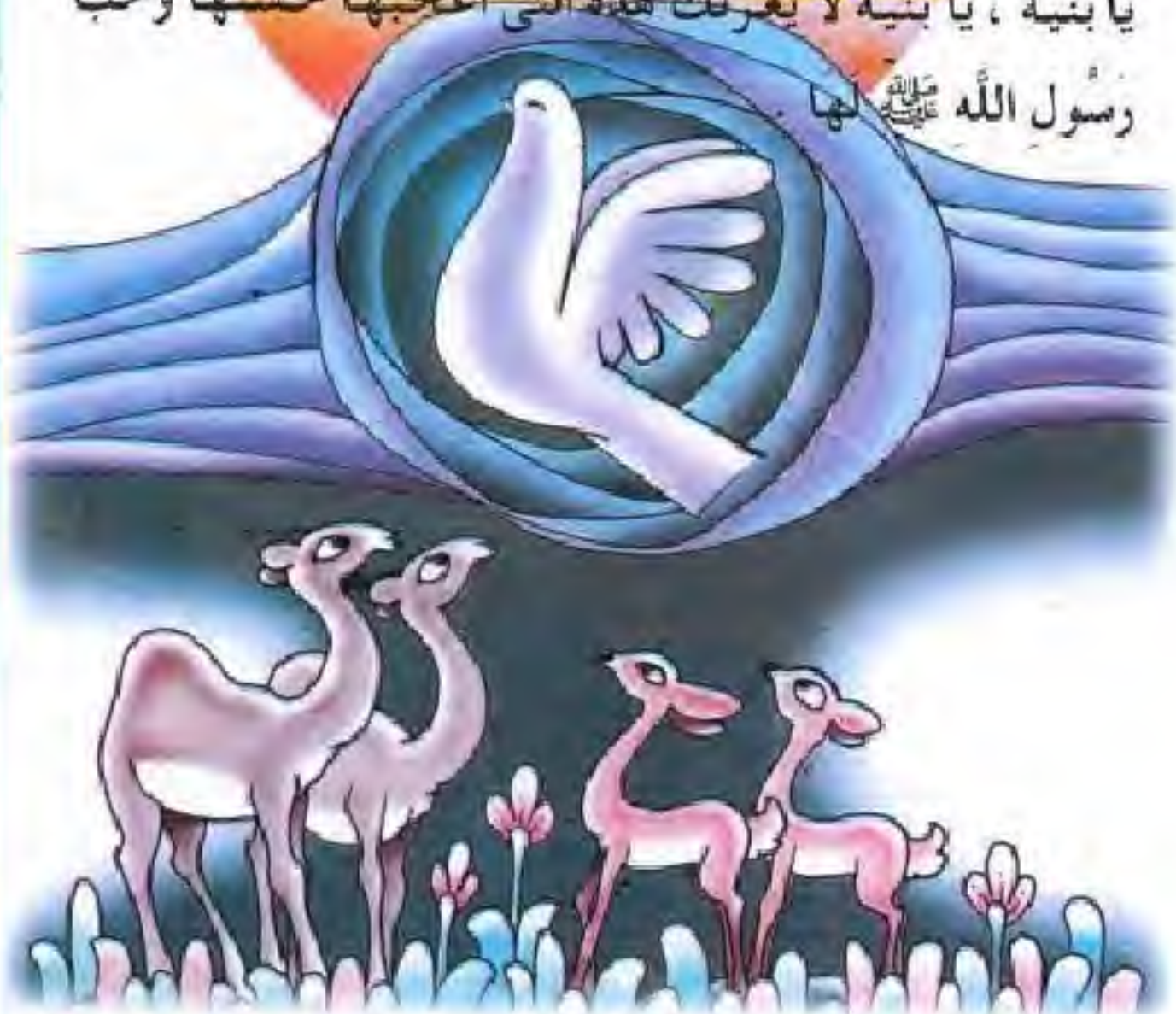
— إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ .

فَقَالَ عُمَرُ :

— تَعْلَمِينَ أَنِّي أَحْذَرُكَ عُقُوبَةَ اللَّهِ وَغَضَبَ رَسُولِهِ ﷺ

يَا بُنَيَّةُ ، يَا بُنَيَّةُ لَا يَغُرَّنَّكَ هَذِهِ الَّتِي أُعْجِبُهَا حُسْنُهَا وَحُبُّ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا .



وَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَرَاحَ يُحَذِّرُهَا مِنْ مُرَاجَعَتِهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ :

- عَجَبًا لَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ ! قَدْ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ،
حَتَّى تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ ؟

وَلَمْ يَتَوَقَّعْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذَا الرَّدَّ الْقَوِيَّ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ ،
فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا مُنْدهِشًا ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا
بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِ أُمِّ سَلَمَةَ ، مَشُورَتُهَا عَلَى
الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْيَةِ ، حَيْثُ كَانَ فِي رَأْيِهَا الْخَيْرُ كُلُّهُ ،
وَقَدْ أَخْرَجَتِ الرَّسُولَ ﷺ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ بِسَبَبِ
مَعْصِيَةِ الْمُسْلِمِينَ لِأَمْرِهِ وَاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى هَذَا الصُّلْحِ .

وَقِصَّةُ هَذَا الصُّلْحِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَصَدَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ
السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ ، وَمَعَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْ
أَجْلِ الْعُمْرَةِ وَأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ ، وَفِي الطَّرِيقِ أَخَذَ بَعْضُ
الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَنْ يَتْرَكُوهُ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ هُوَ وَمَنْ
مَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

كَانَتْ شُرُوطُ الصَّلْحِ جَائِزَةً ، فَقَدْ طَلَبَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :
- أَنْ يَعُودُوا هَذَا الْعَامَ دُونَ أَنْ يَعْتَمِرُوا ، عَلَى أَنْ يُسَمَّحَ
لَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ بِالْعُمْرَةِ الْعَامِ الْقَادِمِ .

- أَنَّهُ مِنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَعَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ يُعِيدَهُ ، أَمَّا
مَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ فَلَا يُعِيدُهُ أَهْلُ مَكَّةَ .

- أَنْ تَكُونَ مُدَّةُ الصَّلْحِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ لَا قِتَالٍ فِيهَا
وَلَا خِيَانَةٍ وَلَا غَدْرٍ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ
قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ .

وَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ وَقَالُوا فِي دَهْشَةٍ :

- سُبْحَانَ اللَّهِ ، كَيْفَ نَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا .
أَتَكْتَبُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا
مِنْهُمْ فَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا .

وَلَمْ تُعْجِبْ هَذِهِ الشَّرُوطُ الصَّحَابَةَ ، وَأَحْسُوا فِيهَا بِالظُّلْمِ
وَالْمَهَانَةِ حَتَّى إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

- أَلَسْتُ عَلَى حَقٍّ وَعَدُّونَا عَلَى بَاطِلٍ ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ :

- بَلَى .

فَقَالَ عُمَرُ :

- أَلَيْسَ قَتَلُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟

فَقَالَ ﷺ :

- بَلَى .

فَعَادَ عُمَرُ يَسْأَلُ وَيَقُولُ :



- فَفِيمَ نُعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذْنٌ ؟

فَقَالَ ﷺ :

- إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أُعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ :

- قُومُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا .

وَكُرِّرَ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَ

الصَّحَابَةِ ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى زَوْجَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ حَزِينًا ،

فَأَخْبَرَهَا بِمَا حَدَّثَ فَقَالَتْ لَهُ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ أَخْرَجَ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ

كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَتَكَ ، وَتَدْعُوَ خَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ .

فَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ ، فَلَمْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، فَتَنْحَرَ بَدَنَتَهُ ،

وَدَعَا خَالِقَهُ فَحَلَقَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَةُ ذَلِكَ ، شَعَرُوا

بِالنَّدَمِ بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَامُوا

فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ

يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَقَرَّتْ عَيْنُ الرَّسُولِ ﷺ بِمَا رَأَى ، وَثَابَ

الْمُسْلِمُونَ إِلَى رَشْدِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا الصُّلْحُ نَصْرًا مُبِينًا

لِلْإِسْلَامِ ، فَقَدْ دَخَلَ الْكَثِيرُ فِي دِينِ اللَّهِ بِسَبَبِ هَذَا الصُّلْحِ ،

وَهَكَذَا كَانَ رَأْيُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَاسِمًا ، وَقَدْ أَخَذَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِهَا وَصَوَابِ رَأْيِهَا . وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَصْطَحِبُ مَعَهُ أُمَّ سَلَمَةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ لِكَيْ يَسْتَشِيرَهَا وَيَتَعَرَّفَ رَأْيَهَا ، فَقَدْ اصْطَحَبَهَا مَعَهُ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ ، وَفِي حِصَارِهِ لِلطَّائِفِ ، وَفِي غَزْوِهِ لِهَوَازِنَ وَثَقِيفَ ، ثُمَّ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ .



وَعَاشَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ زَمَنًا طَوِيلًا حَتَّى مَاتَتْ عَامَ سِتِّينَ هِجْرِيَّةً ، وَكَانَتْ آخِرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْتًا .

رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ أُمَّ سَلَمَةَ ، الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَجَاهَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَتَحَمَّلَتْ الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَاءَ ، وَكَانَتْ نِعَمَ الزَّوْجَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَسْتَشِيرُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ ، فَكَانَتْ تُشِيرُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ الصَّائِبِ .

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ (١) زَوَاجُ بَأْمَرِ السَّمَاءِ

رقم الإيداع : ٥٦٣٨ / ١ - ٢٠٠١

الترقيم الدولي : ٤ - ٥٩٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧